Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

3 ـ التمييز

ينطلق المختار السوسي، في طور التمييز، من الذكريات العالقة بماضيه الطفولي، اعتمادا على الحواس (الرؤية بالعين لا بالفم، القرطاس ليس كاللوح... إلخ). ولكنه يعجز عن استذكار ما قد يكون مر به في الطفولة، لاعتقاده بأنه «منخرم الذاكرة، لا أستحضر مما مر بي إلا قليلا» (ص 215). ولذلك يترادف النسيان هنا مع الاستنجاد بذاكرة أخيه أحمد (ذكر لي الأخ أحمد ص 215)، فيشرع ، من ثم، في تنظيم محكيه الذاتي عبر التوسط (أحمد ، صاحب الذاكرة الغريبة ، كما يقول ص 216)، جاعلا منه مرجعه في التعرف على بعض الأطوار الماضية ، ودليله في إثبات مغازيها بالنسبة لتطور حياته الشخصية. فالطفولة من هذه الزاوية لا تبدو منقضية فقط، ولكنها مغيبة أتى عليها النسيان كذلك، وسوف لن نتعرف منها، حتى مع وجود دليل التوسط، إلا على ما يتصل بتعليمه الأولي، وما يرتبط بهذا التعليم من شيوخ وحفظ.

لقد تعلم المختار السوسي على يد والدته (وقد كانت والدتي أستاذة داخل الدار ص 215)، ثم أخذ القرآن عن عبد الله الإيفغلالي، وعلى يده كانت الختمة الأولى. ومن ذكرياته عن هذه الختمة أن والده أقام للفقراء المتجردين وليمة بالمناسبة، وأنه كان يقرأ القرآن جميعه ويستظهره، إلى ما كان من ختانه، في ذلك الإبان، وهو يهذي به هذيان المتألم من جرح يوجعه. وسيتذكر المختار السوسي جملة من الوقائع التي تلت ذلك، كإلحاحه على أبيه للالتحاق بقرية (العرگوب) مع أخويه (الحبيب وأحمد) لمزيد على التحصيل، وما تلا ذلك من أيام اللعب والمرح، وانتقاله بين الكتاب. ومن المثير حقا أن يصف المختار السوسي نفسه، في هذا الطور، بالوقاحة لكثرة ما أتاه من لعب الأطفال، بما في ذلك فراره من الكتاب وإلقاء القبض عليه «وقد بقيت في القيد أربعين يوما..» (ص 217) .فلا تنتهي هذه المرحلة إلا بوفاة والد ه وبقائه في كنف أصحاب الوالد من الفقراء والمتجردين.

4 ـ العلوم

سيشرع المختار السوسي في التحصيل المنتظم وهو في الحادية عشرة من عمره، مع أنه لم يتقن القرآن اتقانا. فأشار عليه أخوه أن يقرأ العربية أولا، ثم التحق بمدرسة (إغشان) عام 1329هـ. فقرأ فيها الأجرومية مرتين ولامية الجرادي وابن مالك ومنظومة الزواوي... وسوى ذلك، مما كان زاد التلاميذ أمثاله بمدارس سوس أيامها. وليس للمختار السوسي عن هذا الطور سوى ذكريات يسيرة، أغلبها مما يتصل بحياة الطفولة بين أقرانه في الكتاب. وعندما التحق ب(بونعمان) صار يدرس (اللغويات والنحويات